محاضرة القضية

المحاضرة العادية (مش النقاش)

التاريخ: 23-10-2024

بدأنا في الحديث عن المخيال الديني، وتناولنا كيف صورت الأديان فلسطين. كما تطرقنا إلى النصوص الدينية، الخطاب السياسي، والتجربة التاريخية. سنحاول في هذه المحاضرة أخذ بعض النصوص المختلفة من هذه الأنواع لدراسة كيفية تأثيرها على فهمنا لفلسطين.

تحدثنا عن المخيال الديني اليهودي، ودرسنا الفرق بين التجربة والنص والخطاب، وحاولنا التمييز بين ثلاثة مفاهيم: اليهودي، الإسرائيلي، والصهيوني. وهذه المفاهيم ليست بالضرورة تعاقبية، بل أحيانًا تكون تزامنية؛ أي أن اليهودي، الإسرائيلي، والصهيوني قد يتداخلون في العديد من الحالات. لماذا تحدثنا عن هذه التقسيمات الثلاث؟ ليس فقط لتلطيف التعبير، مثل القول “دولة إسرائيل هي دولة معترف بها دوليًا” بينما نحن لا نعترف بها، ولكن أيضًا لفهم كيف يعرف اليهود أنفسهم. إذا تزامنوا معًا، يعرفون اليهود بأنهم من أمه يهودية ومن يحمل الجنسية الإسرائيلية. أما إذا كان من يعرّفهم الآخرون، فإنهم يعتبرونهم يهودًا.

سنتحدث عن بعض القصص اليهودية مثل “المسادة”، “داوود وجالوت”، “بلعة”، و”شمشون الجبار” لأنها تتعلق بالأرض والناس والحكاية، وهي المكونات التي تربط بينهم، وتشكّل مثلثًا مكتملًا. لفهم هذه القصص بشكل أفضل، سنناقشها بشكل مفصل.

دولة إسرائيل اليوم تستفيد من هذه القصص، مثل “المسادة” وغيرها، لتدعيم وجودها وحقها في المنطقة. لكن من المهم أن نلاحظ أننا لا نقول “دولة اليهود”، بل “دولة أو تاريخ اليهود”، لأننا نتحدث عن اليهود أنفسهم وليس عن تاريخ الدولة اليهودية. يستخدمون هذه القصص ليثبتوا حقهم في ارتكاب الفظائع، وإذا استطاعوا إقناعك بما لا يقبله العقل، قد يجعلونك مستعدًا لتقبل تلك الفظائع. هم يحاولون القول إنه كان لديهم حضور سياسي سابق، ولذلك يعتقدون أن لهم الحق في ما يفعلونه الآن.

قصة المسادة

قصة “المسادة” المعروفة هي عن القلعة الحصينة المسماة “المسادة”. وهذه القصة وقعت تقريبًا في عام 35 قبل الميلاد أو على الأرجح في عام 73 ميلادي، ولكن بدايتها كانت حوالي عام 61 ميلادي. “فلاسفيوس” هو شخصية رومانية من القدس ومن عائلة متدينة، وكان جاسوسًا ومفاوضًا في الوقت ذاته. استطاع إقناع اليهود بالاستسلام.

يمكن الوصول إلى “المسادة” عن طريق التل فريك أو عبر بعض التسويات أو التعديلات على الحفريات. أما قائد المسادة فقد قال: “نحن نموت ولا نستسلم”. تاريخيًا، لم تذكر هذه القصة في التوراة أو التلمود أو أي نصوص دينية يهودية أخرى، لكنها بدأت تظهر في تاريخ الحروب اليهودية بشكل متأخر.

اكتُشفت “المسادة” بعد عام 67 ميلادي، ويوجد أستاذ جامعي في جامعة عبرية قام بأبحاث تشير إلى أن هذا الحدث لم يحدث بسبب عدة أسباب، مثل صعوبة إقناعهم بالانتحار وصعوبة وصول الماء إليهم. اليوم، يستخدمون هذا الحماس القومي بأن “المسادة لم تسقط ثانية” للتأكيد على أنهم لا يتشبهون بالفلسطينيين بل باليهود الفدائيين.

ملاحظة

كل هذه الأمور يستخدمونها للدفاع عن أنفسهم. ملاحظة أخرى هي أن أي دولة تعطي لنفسها حق الدفاع عن النفس في دستورها، هي في الحقيقة تمهد لانتحارها أو تدمير نفسها.